اتجاه الموجات البشرية

في جزيرة العرب

بحثٌ تاريخيٌّ في الهجرات العربيَّة منذ ستة آلاف سنة
الى العراق والشام خاصَّة ، والبلاد الساميَّة عامَّة
وفي انَّ أصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب

بقلم

محب الدين الخطيب

منشئ مجلة (الزهراء)

القاهرة

١٣٤٤

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده * وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه والتابعين * وسلم تسليما كثيرا

وبعد فقد تلقت صحفنا اليومية من لندن خلاصات جاءتها على لسان البرق من مقالة للمستر توينبي Toynbee بجريدة منشستر غادريان يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٥ (١٣ جمادى الثانية ١٣٤٤) خبط فيها خبط عشواء فيما كتبه عن الاسلام بمناسبة استتباب الامر في الحجاز للامام عبد العزيز آل سعود. غير أنه أشار في هذه المقالة الى سر من أسرار تاريخ جزيرة العرب، وهو اندفاع موجات من أهلها الي ما وراء حدودها في احقاب متوالية. وقد علل مستر توينبي هذه الهجرات بانها نتيجة نضوب المياه في دورات للزمان تحدث عند تطور المناخ الجوي للعالم بين الحد الاقصى للرطوبة والحد الاقصى للجفاف؛ ومع ان هذا التعليل لا يتفق دائما مع الاسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى فقد رأيت أن أعرض على أنظار القارىء صورة لاتجاه الموجات العربية التي وصل الينا علمها، لان ذلك مما يساعد الشعوب الناطقة بالضاد على ادراك حقيقة رابطتها القومية بجزيرة العرب. واقتصرت في أخبار الهجرات على ما كان منها في آسيا، لان الهجرات العربية الى مصر وسائر شمال افريقية يحتاج الى بحث آخر. ومن الله أستمد العون

محب الدين الخطيب

مقدّمة

قلت في غير هذا الموضع [1] : « ان اللغات الساميَّة — وهي اللغات التي كان يتكلم بها الكلديون والاثوريون في العراق ؛ والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون في الشام ، والحبشة وراء الساحل الغربي من بحر القُلْزُم — كُنّ في العصور الاولى متشابهات ، بحيث يُعتبرنَ كلّهن لهجاتٍ للغة واحدة . ولذلك استطاع سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يتنقّل بين العراق والشام ومصر والحجاز ، وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الاقطار ، إذ لم يكن بين لغاتها من فرقٍ إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد . ولا نستطيع القول بأن واحدة منهنّ هي الاصل والاخرى فروع لها ، بل الراجح أن اللغة الاصلية — التي ترجع اليها هذه اللغات — ذابت فيهن . غير أن الحالة التي كانت عليها اللغات الساميّة جميعاً قبل ظهور الاسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد ان العربية أرقاهنّ ، ومعنى هذا أنها أعرقهنّ

---

(١) سلطان اللغة العربية (الزهراء ٢ : ١٤٨) و (الحديقة ٢ : ٨٤)

في القِدَم ، فلا يبعدأن تكون هي البنت البِكْر لأمّها الساميّة الاولى ». ولكن أين كان وطن هذه اللغة الساميّة الاولى ، وأين كان وطن الساميين الذي انتشروا منه في هذه الاقطار الكثيرة التي يتكلم أهلها اليوم بالعربية ؟

اذا وجهنا هذا السؤال الى اليهود وأرادوا أن يجيبونا عليه رجعوا بذا كرتهم الى تاريخهم والمأثور من تقاليدهم فرأوا أن جدَّهم الأعلى ابراهيم عليه السلام عبر الى الشام من ضفاف الفرات ، وكان قبل ذلك في العراق ، فلا يتردَّدون حينئذ في إرشادنا الى أن العراق هو مهد الساميّين ، وأن اللغة الساميّة الاولى كانت هناك . أما إذا ألححنا عليهم بالسؤال عن الأمة التى منها سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وهل يضمنون لنا أنها أصيلة في العراق ولم ينتقل أسلافها الاولون الى تلك البقاع من جهة أخرى ، فأننا لانسمع منهم حينئذ جواباً مقنعاً

وسترى أيها القارىء من البيانات الآتية أن للامم الساميَّة بحراً عظيماً كان ولا يزال يقذف بموجات منها الى مسافات بعيدة في مختلف العصور ، وهذاالبحر هو جزيرة العرب ذات الأسرار

العجيبة التي عرف الناس أقلَّها وخفي عنهم أكثرها . وأما ماعدا ذلك من الاقطار التي نزلها الساميّون فليست بالنسبة الى هذا البحر الاعظم الا بمنزلة السواقي

ومَنْ وَرَدَ البحرَ استقل السَّواقيا

والذي يمعن النظر ويفسح لنفسه مجال التفكير في الحوادث التاريخية ـ التي سنشير الى بعضها ـ تتكوّن عنده عقيدة علمية بأن الوطن العربي الحاضر هو ابن جزيرة العرب ، وأن له من صلته بها دعائمَ راسخةً من القومية الصحيحة شادتها يد الدهر منذ فجر التاريخ ، بل من قبل ذلك . وان ماتشيّده تلك اليد في الاحقاب الطويلة لاسبيل الى زواله مابقيت على الارض قوميات

الفصل الأول

﴿ الموجة الاولى — الى العراق ﴾

« سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد »

جاء في مجلّة المباحث (٢ : ٧٢٨) نقلاً عن المؤرّخ (باتون) الامريكي « أن أول مهاجرة سامية ذُكرت في التاريخ هي مجيء جماعة من الساميّين الى البقعة التي بين مصبّي دِجلة والفُرات ». ولم يذكر زمنَ هجرتهم هذه من أوطانهم الاولى الى العراق ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة في ذلك القطر في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد

وذهب العلاَّمة (سايس) الانكليزي الى « أن قبيلة من الساميين يقال لها كلدة [1] كانت نازلة عند مَصبّ النهرين ، وأنها طليعة قبائل النبط والآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابليَّ مخيّمين على ضفاف الفرات ، وأنهم كانوا

---

(١) قال الاب انستاس الكرملي (مجلة لغة العرب ٢ : ٥٧٨) : كلدة شيخ عربي هو مؤسس دولة الكلدان

يتكلمون اللغة الكلدية »

إذن فقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام إنما هاجر أسلافهم الاوّلون الى العراق من بلاد أخرى ، وهي البلاد العربية على مايقول العلاَّمة سايس ، وان هجرتهم طليعة هجرات أخرى حدثت بعدها من بلاد العرب أيضاً . وقد كانت تلك الهجرة الى العراق قديمة العهد جدّاً ، ويرى المؤرّخ باتون أنها ترجع الى أكثر من ستة وثلاثين قرناً قبل الميلاد

من الأمثال المعروفة الآن في بادية العراق قولهم « نجدٌ أمّ والعراق داية » يشيرون بذلك الى ماجرت به العادة في الاقطار العربية من تغذّي المدن بأبناء البادية . فالنواة العربية التي زرعت في العراق يوم نزله الشيخ كلدة مالبثت أن نبتت وتأصّلت ونمت ، فأزاحت السُّمَرِيين من طريق مجدها وأزالتهم عن مدينة (أريدو) قرب الخليج الفارسي حتى بلغت (بابل) على ضفاف الفرات ، واستأثرت بالعظمة والسلطان ، والحضارة والعمران ، في العراق الجنوبي . وكانت البادية لاتزال تؤدي وظيفتها للمدن — كما تفعل الى يوم الناس هذا — فتلد أبناءها وتقدمهم للحضارة تتغذّى

بصفاء عقولهم وسلامة فطرتهم ومَضاء عزيمتهم وقد ثبت أن العرب كانوا يَفِدون على مملكة بابل بلا انقطاع طول مدَّة الدول السبع الكلدية التي تعاقبت قبل مملكة أثور ، وكان هؤلاء العرب من عوامل تجديد الحياة الاخلاقية والسياسية فيما بين النهرين . وكانت هجرتهم بطيئة أُحياناً وأحياناً تتدفَّق كالسيل لحادث فجائي . فأما الهجرات البطيئة فانها مابرحت مستمرَّة من أقدم الازمان حتى هذه الساعة ، وأما تدفقها كالسيل في الحوادث الكبرى فقد حفظت لنا الآثار والتقاليد بعض أخباره وغاب عنا كثير منها

الفصل الثاني

﴿ الموجة الثانية — الفينيقيون ﴾

« سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد »

قال باتون : « ثم ان بلاد العرب عادت فغصّت بأبنائها بعد ألف سنة ، فكانت الهجرة الامورية الكنعانية (أي الفينيقية) حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد »

ويؤيد قولَ باتون — من أن أصل الفينيقيين من بلاد العرب — ماذكره الاب مرتين اليسوعي (في تاريخ لبنان صفحة ٢٤١) وهو أن (أرنو) وجد في الكتابات الحِمْيَرية اسم (عَشْتَروت) إلاهة الفينيقيين . ويزيد هـذه الحقيقة تأييداً وتأكيداً مارواه العـالم الجغرافي سترابون Strabon الرحالة اليونانى الذي كان موجوداً زمن الميلاد المسيحي في الفصل السادس عشر من كتابه الشهير في الجغرافيا (رقم ٣ و ٤) حيث قال « اذا سرتَ في الخليج الفارسي رأيت جزيرتي صور وأرواد وفيهما هيا كل تشبه هيا كل الفينيقيين » ، ومعلوم أن (صور) مدينةالفينيقيين الكبرى

فى الشام و (أرواد) جزيرة لهم هناك ، فهذا الاتفاق فى أسماء المدن وهذا التشابه فى الهيا كل الدينية بين بلادين متباعدتين لا ريب أنه يدل على شيء . بل مالنا نذهب في الاستشهاد بعيداً وهذا الخليج الفارسي لايزال فيه الى يومنا هذا ثغر اسمه (جبيل) على اسم الثغر الآرامي في الشام (١)

(١) من عادة أبناء الشام اذا هاجروا هجرات كبرى الى أقطار اخرى أن يتخذوا لهم في الوطن الجديد مدناً على اسم مدن وطنهم الاول ، ولما ملأ الامويون بلاد الاندلس بجاليات العرب من أبناء الديار الشامية جعل هؤلاء يحيون ذكريات وطنهم القديم فى الوطن الذي انتقلوا اليه : فسموا غرناطة (دمشق الغرب) وفيها يقول ابن جبير :

يادمشق الغرب هاتيـ ـك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري وهي تنصب اليها

وسموا احدى نواحي سرقسطة باسم (جلق) احياء لذكري غوطة دمشق في الشام

وسموا (المدينة الخضراء) تذكيراً بالخضراء دار الخلافة بدمشق . وهذه المدينة جليلة كثيرة البساتين بينها وبين (مليانة) بالاندلس يوم واحد

وسموا اشبيلية باسم (حمص) وفيها يقول ابن عبدون :

هل تذكر العهد الذي لم أنسه ومودتي مخدومة بصفاء
ومبيتنا في أرض حمص والحجى قد حلّ عقد صباه بالصهباء
ودموع طل الليل يخلق أعينا ترنو الينا من عيون الماء

واتخذوا لهم في الاندلس (رصافة) مثل (رصافة الشام)

وأنشأوا بلدة على مسافة ١٦ ميلا من قرطبة سموها (القصير) على اسم القصير المجاورة لحمص

ان التشابه بين الهيا كل الدينية في فينيقيا وفي البلاد العربية على الخليج الفارسي ، واشتراك البلادين في عبادة (عشتروت) ، ووجود بلاد في كلّ من الجهتين تتفق في أسمائها ، ليس كله مما يجوز حمله على مجرّد الاتفاق الذي لا معنى له

وكون الفينيقيين عرباً جاءوا الى الشام من جنوب البلاد العربية حقيقةٌ معترف بها ، ومشهورة من قديم الزمان . وقد ذكر (يستين) مختصِر (تروغ بُمبى) ١٨ : ٣ « أن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم وأضرّت بهم هجروها وأقاموا أولاً بالقرب من البحيرة الاشورية (الخليج الفارسي) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر (أي الابيض) وفي ذلك المحل بنوا مدينة سموها (صيداء) لكثرة الاسماك في ساحلها »

ولدينا نصَّان تاريخيان : أحدهما عن أهل جزيرة البحرين في الخليج الفارسي بأن أرواد وصور اللتين للفينيقيين في الشام هما من مهاجر عرب البحرين ومن مستعمراتهم . وهذا النص من قبل الميلاد المسيحي وقد نقله لنا الرحالة الجغرافي اليونانى سترابون في كتابه في الجغرافيا ١٦ : ٣ و ٤

والنص الثاني عن الفينيقيين أنفسهم بأن أصلهم من بلاد

العرب ، نقله لنا عنهم أبو التاريخ هيرودوتس الرحالة اليوناني الذي سمعه بأذنه من كهنتهم عند مازار فينيقيا عام ٤٥٠ قبل الميلاد واجتمع بأهلها وتحدَّث اليهم عن ماضيهم وأوّليتهم . فقد رَوَى عن سَدَنَة هيكل (بعل ملك قرت) وكهنته وغيرهم من أهل العلم بالشئون الفينيقية (العدد ٨٩ من الكتاب السابع) « أن الفينيقيين — كما يخبرون هم بأنفسهم — أقاموا أوّلاً عند البحر الاريثري [١] ولكنهم رحلوا من هناك وجاءوا فسكنوا سواحل بحر سوريا » [٢]. وذكر هيرودوتس أيضاً (في العدد الاول من الكتاب الاول) أن الفينيقيين كانوا في أقدم أزمانهم يقطنون ساحل بحر أريثريا (أحد سواحل بلاد العرب) قبل سكناهم ساحل بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) فقال عن سبب العداوة بين اليونان والفينيقيين « ان الفرس البارعين في معرفة تاريخ بلادهم ينسبون الى الفينيقيين المبادأة بالعدوان ، بدعوى أن هؤلاء لما تركوا ساحل بحر اريثريا جاءوا

---

(١) يرجح مفسرو نصوص هيرودوتس أن المقصود من البحر الاريثرى هنا هو الخليج الفارسى ، واليونانيون يسمون كل المياه المحيطة بجنوب جزيرة العرب من الجهات الثلاث (بحر اريثريا)

(٢) أنظر الترجمة العربية لتاريخ هيرودوتس بقلم حبيب بسترس (ص ٤٦٧ طبع بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧)

فاقاموا في نفس الناحية التي هم مقيمون بها اليوم وبادروا في الحال الى معاناة الاسفار الطويلة في البحر لينقلوا بضائع مصر وآثور الى جهات مختلفة [1] »

قال العلاَّمة (فرنسيس لنورمان F. Lenormand) : « ان تقليد الفينيقيين الذي جمعه فى نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع فى تحري منابع الاخبار ، وقَبلِه تروغُ بمِبي المعروف بالرأي الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذى نقله سترابون ، ثم التقليد الذى كان جاريا ببابل في اوائل النصرانيـة أيام أنشىء الكتاب السرياني الكلداني في الفلاحة النبطية ؛ جميع هذه التقاليد الثلاثة متفق على ان الكنعانيين (الفينيقيين) سكنوا فى بادىء الامر بالقرب من الكوشيين إخوتهم الاصليين عند أرياف البحر الاحمر أو خليج العجم ، أي في الجهة التي تسمّى اليوم في المصوّرات الحديثة

(١) قال المسيو لرشى (ناقل كتاب هيرودوتس الى الفرنسوية) تعليقا على هذه الجملة « كان من عادة هيرودوتس في الغالب أنه اذا اراد التكلم عن شعب يبدأ باستقصاء البحث عن حقيقة أصله . فمن ذلك انباؤه ايانا ههنا ان الفينيقيين كانوا قاطنين شواطيء البحر الاحمر قبل رحيلهم الى بلاد فينيقيا المدعوة باسمهم . وفى الواقع انك ترى هناك بقرب هيبوس — وهى فرضة على خليج ايلة (العقبة) — مدينة كان اسمها فى القديم (فينيكوم) أو (بيدوم) أي مدينة « الفينيقيين » (أنظر الترجمة العربية ص ١٢)

(القطيف) . وان طريق القوافل ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الاحساء وكامل وادي عفطان الى حدّ جبل طويق. وفيما وراء ذلك بقليل تميل الى جهة الشمال الغربي في ناحية الوشم الى أن تتصل بمدينة (عنيزة) ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارّة بجميع جهة (القصيم) لتتّصل بطريق الحاج على مساواة (الحنيكية) هذه هي الطريق التى سلكها الفينيقيون عند هجرتهم من بلاد العرب الى الشام ، وذلك أمر لا يستطاع الارتياب فيه ، لانهم لو سافروا بطريق أخرى لما تمكنوا من قطع مسافة الصحراء الواسعة المساحة . ومن عادة أهل الشرق أن المتأخرين منهم يسلكون نفس الطريق التى اختطها أجدادهم . ويمكن التقدير أيضاً — بوجه الاحتمال الكلّي — أن الفينيقيين عند بلوغهم (الحنيكية) مشوا في الطريق التى يسلكها الحجاج كل سنة عند عودتهم من المدينة الى الشام. ولما وصل الكنعانيون الى (الحنيكية) تخلّفت منهم قبيلة ، وأتم الباقون مسيرهم نحو سواحل البحر الابيض المتوسط . وفي تقاليد العرب القديمة أن قبيلة ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتاً لها . وهي عندهم قبيلة طاغية ؛ لأن الساميين الصريحين في

ساميتهم — سواء كانوا عرباً أو عبرانيين — ما كفّوا مطلقاً عن وصف الكنعانيين والكوشيين بهذه الصفة . فهذه اذن هى الطريق التي يمكن أن يقال عن القبائل الكنعانية (الفينيقية) انها اتبعتها عند هجرتها من بلادها »

وقال مسيو رُنِه دوسّو René Dussaud المؤرخ الفرنسوي (في كتابه العرب في سوريا قبل الاسلام ص ١٨) اعمادا على تحقيق العلامة وينكلر Winckler : ان المستعمرات والمصارف الفينيقية في شمال افريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هي نتيجة حركة اكتساح عن طريق البر كتلك الحركة التى قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم في سوريا . ويعتبر وينكلر أن بلاد العرب كانت الموطن الاصلي للساميين ، وأن البابليين (الكلدان) والكنعانيين (الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجاً بعد فوج كما خرج الغزاة المسلمون في القرن السابع»

الفصل الثالث

﴿ الموجة الثالثة — قوم حمورابي ﴾

« سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد »

ومضت ألف سنة أخرى على الموجة الفينيقية ، وكانت البادية في خلال ذلك تواصل القيام بوظيفتها للمدن فتغذّيها بنشاط أبنائها وصفاء أذهانهم وسلامة أخلاقهم . فيندفع هذا العنصر النشيط متقدماً باستمرار من اليمن الى افريقية بطريق باب المندب ومن العريش الى مصر من جهة السويس ومن شمال جزيرة العرب الى الشام بطريق البادية ، كما أن الموجة الاولى التي تحولت الى الشعب الكلدي مابرحت تغذّي الشام بالعنصر الآرامي * ولما كاد ينقضي على هذه الحال ألف سنة كما تقدم قذفت جزيرة العرب المباركة بموجة ثالثة نحو العراق كان من نتائجها استيلاء العرب على زمام الحكم في مملكة كلدة كلها وتأسيسهم الدولة الكلدية الخامسة التي من ملوكها (حمورابي) المشهور

ان العراقيين ظلوا حافظين خبر هذه الهجرة زمناً طويلا ،

ويتناقلونه ولداً عن والد وأبا عن جد . وقد سجّل ذلك المؤرخ الآرامي القديم (باروز [١]) كاهن معبد (بعل) في بلاد أثور . فان هذا المؤرخ العراقي كان معاصراً للاسكندر المقدونى وتلقى علومه في مدارس الكلدان التي كانت لم تزل عامرة زاهرة تعلم قراءة الخطوط المسمارية وتفسيرها [٢] وقد تعلم باروز اللغة اليونانية أيضاً عقب مرور الاسكندر بالعراق في حروبه مع الفرس وبلاد المشرق ، وألف باليونانية كتاباً رفعه الى انطيوخوس ملك سورية . وقد اعتمد على هـذا الكتاب جماعة من العلماء مثـل (أبي دان) الكاهن المصري في هيكل أزوريس على عهد خلفاء الاسكندر ، و (اسكندر بوليستور) المتوفى في القرن الاول قبل الميلاد و (أبولو ووروس) المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام وقد نقلَ عن الاخيرين (جورج سينسالوس) و (أوسابيوس) قولَ كاهن بعل في كتابه المذكور :

---

(١) ان الذين ذكروا شيئاً عن هذا المؤرخ الكاهن من كتابنا المعاصرين رسموا اسمه بلفظ (بيروس) أو (بيروسوس) تبعاً للافرنج واليونان . ولكن المطران يوسف الدبس كان مصيبا فى رسمه بلفظ (باروز) وفقاً للصيغة الآرامية

(٢) أنظر تاريخ سورية للدبس (١ : ١٣٥ عدد ٤٥)

« ان العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك مدة ٢٤٥ سنة »

قال المطران يوسف الدبس (تاريخ سورية ١ : ١٣٥ عدد ٥) : « ان كل مابقي من فقر (باروز) وأمكن معارضته بالآثار المكتشفة حديثاً قاضٍ علينا أن نوقن أنه تلقاه عن آثار قديمة في وطنه ، وأنه كان على غاية من الدقة فيما ينقله » . وقالت مجلة المباحث (٢ : ٧٣١) : وقد اتصلت رواية الكاهن (باروز الآرامى) بمحققي هذا العصر فأثبتوها وقالوا بها ، حتى ان المؤرخ (رولنسُنْ) الانكليزي المشهور اعتمدها ، وحَسَبَ أن المدة التي خلت فيها الاريكة الكلدية للاسرة العربية المالكة امتدّت من سنة ١٥٤٦ الى سنة ١٣٠١ قبل الميلاد

ويقول العلاّمة (سايس) : انه بسقوط الأسرة الثانية المالكة في (أور) نشأت في العراق أسرة ساميّة ، فاعتزّت وغزت ، ثم دالت . فاتصلت الاريكة بقوم أتوا الى العراق من جنوبى بلاد العرب ، وكان اسم زعيمهم (سومو أبي) — أي « سام أبي » يعنى « ابن سام » — فناهضه الوطنيون فصبر . ولكن لم تستفحل دولته ولا اعتزّت لاستفحال بني عمه العيلاميين ، حتى اتصل

الملك بالخَلَف الخامس من أسرته وهو (حمورابي) فاستقلّ عن العيلاميين واستفحل واتصلت الاريكة بأعقابه

وان ما قيل عن الكلدانيين يقال أيضاً عن العيلاميين ، بل ان هؤلاء أعرق في الســامية وأدنى قرابة الى العرب ، بعد ثبوت ذلك من طريقي التوراة والاكتشافات الاثرية

وصفوة القول أن الحضارات السامية التي قامت في العراق منذ ستة آلاف سنة الى الآن إنما جاء أهلها الى العراق من جزيرة العرب ، وهو البحر الذى ما برح يتموّج فيدفع بينُبيه الى ما بين النهرين وضفافها ، ذلك هو تأويل المثل الذي سمعته في البصرة لما نزلتُها عام ١٣٣٣ هـ وهو قولهم « نجدٌ أمٌّ والعراق داية »

الفصل الرابع

﴿ الموجة الرابعة — الهجرات الاسماعيلية ﴾

« سنة ٦٠٠ قبل الميلاد »

كما أن لاسحاق من ابنه يعقوب عليهما السلام اثنى عشر سبطاً انتشروا في الارض وتناسلوا وكثروا ، كذلك لاسماعيل عليه السلام اثني عشرشبلاً نشأوا في مكة (أم القرى) وما لبثت هذه الامّ أن قذفت بهم الى قرى الشمال في ديار الشام بشكل موجة من موجات الجزيرة العربية فاتخذوا لهم في تلك الديار أوطاناً وأقاموا فيها دولاً . وهؤلاء الاسماعيليون الاثنا عشرهم : نابت، قَيْدار ، يَطُّور ، تيْما ، دُومة ، مِسمَع ، قِدْمة ، أدَبِ ايل ، نَفِيس ، مِبْسام ، الهميسع ، حداد . وقد رُزق اسماعيل أشباله هؤلاء من ثلاث زوجات جُرْهُميّات وهنّ : رَعْلَة بنت عمرو الجرهمي ، وسيّدة بنت مضاض الجرهمي ، والحنفاء بنت الحارث بن مضاض . فكان الدم الذي يجري في عروقهم عربياً محضاً من ناحية أمهاتهم من جُرْهم ، وعراقياً من ناحية جدّهم ابراهيم عليه السلام ،

ومصرياً من ناحية جدَّتهم هاجر . ونشأ هؤلاء في مكة وفيها العمالقة سكان مكة الاولون ، وجُرْهُمُ الذين نزلوا مكة من أيام ابراهيم ، فكانت ولاية مكة بعد اسماعيل لابنه نابت ثم أفضت الى شيخ جرهم مضاض بن عمرو فدبّ دبيب الخلاف بين جرهم والعماليق تزاحماً على السلطة في مكة ، غير أن نجم العماليق كان الى أفول لأن الاسماعيليين وأخوالهم من بني جرهم كانوا أقوم أخلاقاً . ثم كان في مكة قحط شديد حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد فلم تحتمل مكة جميع ساكنيها ، وكان الجلاء من نصيب الضعفاء وهم العمالقة ، فعادوا الى اليمن وطنهم القديم . وفي هذه النازلة نزح (بنو يطور) الاسماعيليون فولوا وجوههم نحو البلاد التي جاء منها جدهم ابراهيم ، أعني الديار الشامية . ووافق زمن وصولهم الى هناك قيام العبرانيين على الفينيقيين لاخراجهم من شمال فلسطين وجنوب سوريا ، فاشتبكوا مع بني اسرائيل في هذه الملاحم (أخبار الايام الاول ٥ : ١٩) وأسسوا في جنوب دمشق (مملكة يطور) ويطور مذكور في التوراة (سِفْر التكوين ٢٥ : ١٥ و١٦ * وأخبار الايام الاول ١ : ٣١) وهي المقاطعة المعروفة الآن باسم (اقليم الجادور) جنوبي دمشق ، قال الاب مرتين اليسوعي (تأريخ لبنان ص ٣٥٨) : « وكانت

حدود هذه المملكة الصغيرة ممتدة في الشمال الى تخوم مملكتي ايش طوب ودمشق ، ومن الغرب الى تخوم جشور ، ومن الجنوب الى باشان ، ومن الشرق الى أرجوب . فكانت مملكة يطوراذن مشتملة على اقليم الجادور الحالي مع قسم من حوران . غير أن بعض المؤلفين مدّوها الى ماوراء هذه الحدود في الجهات المجاورة لها » . ونقل الاب مرتين أيضاً (ج ٤ ص٧٠) عن الرحالة اليوناني مسْترابون الذي كان موجوداً زمن المسيح قوله « ان الجبل كله من عند لاذقية لبنان مأهول بقوم من اليطوريين والعرب » بل روى مايظنه بعضهم من أن هؤلاء الجبارين وأمثالهم هم الذين بنوا أوجدّدوا مدينة بعلبك.

ومن الاسماعيليين الذين دفعتهم تلك الموجة الى الشمال بنو قيدار وبنو نابت فأنهم لما رحلوا عن مكة كانوا يتنقلون نحو يثرب ببطء حتى نزلوا حواليها ، ثم انتقلوا منها الى مدائن صالح فتركوا فيها كتابات ونقوشاً الى يومنا هذا [١] ثم تقدموا الى الشمال اكثر حتى

(١) اذا صحت نسبة تلك الكتابة الى الاسماعيليين كان في ذلك تأييد للرواية العربية القائلة ان اسماعيل أول من كتب في الحجاز ، وان حروفه كانت متصلة كلها حتى الالف والراء - بعكس الحميرية - الى أن فصلها ولداه (قيدار)

صاروا في خليج أيلة (العقبة) ثم في وادي موسى بعد ذلك

والمظنون أن (بنى قيدار) كانوا في جملة العرب الذين ذكر (باروز الآرامي) أن بختنصر (نبوخذ نصر) الكلدي قد ظفر بهم واكتسح بعض بلادهم. وقد ورد ذكر (بنى قيدار) في سِفْر أرميا النبي (٢ : ٧) وسفرُ أرميا ومراثيه من أجلّ ما كتب عن كارثة بختنصر وسبيه بنى اسرائيل خاصة واكتساحه البلاد الساميّة عامة. ومما يؤسف له أن هذه الحوادث لا تزال غامضة الى يومنا هذا، لانه فضلا عن ضياع الاخبار العربية في هذا الباب فان بختنصر نفسه أقلُّ ملوك كلدة أخباراً منقوشة على الأحجار ومخلّفة في الآثار

وأما بنو نابت ـ واسمه في التوراة (نبايوت) ـ فانهم لما بلغوا مع القيداريين واليطوريين خليج أيلة (العقبة) انخزعوا عن القوم ولبثوا فيها، وكان يسكنها قوم من بنى اسحاق تعرّبوا وهم الادوميون بنو عيسو بن اسحاق [1]، فما لبث أبناء نابت أن صاروا

و (الهميسع). راجع المطالع النصرية للهوريني ص ١١، والمزهر للسيوطي في النوع ٤٢، والاوائل للسيوطي أيضاً

(١) ان دخول الادوميين في غمار القومية العربية ناشيء عن ثلاثة اسباب: الاول تأثير البيئة، والثاني وحدة الاصل، والثالث أن لغتهم لم تكن غريبة عن لغة العرب يومئذ وانما كانتا لهجتين متشابهتين فساعد ذلك على تعرّبهم. ولما خرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل من مصر اراد أن يمر ببلاد

سادة تلك الديار، ووسعوا حدودها فكان حكمهم يمتد ـ في أدوار ازدهار دولتهم ـ من (وادي القرى) على حدود يثرب في الجنوب الى (دمشق) في الشمال، وجعلوا حصن (سلع) في وادي موسى أحد فروع العربة عاصمة لهم [1]. وقد وُجدت لهم في مدائن صالح آثار تاريخية مهمة كما وُجدت لهم آثار منقوشة على الأحجار بين وادي موسى والسويس وبين العقبة والطور. وثبت من الكتابات التي وجدت لهم في معادن الفيروز والنحاس في وادي النصب

الادوميين فمنعوه فسلك ببني اسرائيل طريقا آخر وكان ذلك سبب عداوة طويلة استمرت بين العبرانيين والادوميين الى زمن داود وسليمان عليهما السلام ثم الى زمن يهوشافاط واشعياء، فلما نكب بختنصر العبرانيين أخذ الادوميون قسما من فلسطين

(١) السلع الشق. ومنه السلع بمعنى الشق في القدم والشق في الجبل. وسمت العرب كثيرا من جبالها باسم (سلع). وممن ذكر سلعاً هذا الذي في واي موسى من علماء العرب ياقوت في معجم البلدان والفيروزأبادي في القاموس. وكما سمى العرب هذه البلدة باسم (سلع) سماها اليهود باسم (سالع) ومعناه في لغتهم الصخر، لذلك سماها اليونانيون والرومانيون باسم بترا بمعنى الصخر تبعاً لليهود، مع أن المعنى العربي لكلمة سلع اكثر انطباقاً على حالة هذه البقعة لان مدخل بترا من الشرق في مضيق يعرف بالسيق يرتفع عنده جانبا لوادي فلايجتازه الركبان الا اثنين اثنين، فهذا الشق في الجبل هو الذي يسميه العرب باسم (سلع)

ووادي المغارة انهم زاولوا صناعة التعدين ، لكنهم لم يشتغلوا بالزراعة لأن بلادهم صخرية ولا ماء فيها غير ما يخزنونه من مياه الأمطار والسيول . وكانت لهم تجارة بين اليمن ومصر والشام ولم تكن تمر تجارة في تلك الجهات الا على أيديهم . وذكر ديودور الصقلي المؤرخ القديم أن لهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال رصدوهم للدفاع عن حريتهم ولحفظ استقلالهم ، وقد بطشوا بحملة أنتيغونس سنة ٣١٢م بطشة أفنتها عن آخرها ومنعت انتيغونس من غزو مصر . والمعروف من ملوك بني نابت الحارث الأول (سنة ١٦٩ ق . م) وزيد ايل (١٤٦ ق م) والحارث الثاني (١١٠ ـ ٩٦ ق م) وعبادة الاول (٩٠ ق م) ورئبال الاول (٨٧ ق م) والحارث الثالث (٨٧ ـ ٦٢ ق م) وعبادة الثاني (٦٢ ـ ٤٧ ق م) ومالك الأول (٤٧ ـ ٣٠ ق م) وعبادة الثالث (٣٠ ـ ٩ ق م) والحارث الرابع (٩ ق م ـ ٤٠ ب م) ومالك الثاني (٤٠ ـ ٧٥ م) ورئبال الثاني (٧٥ ـ ١٠١ م) ومالك الثالث (١٠١ ـ ١٠٦ م) وهو الذي انقرضت دولة بني نابت في زمنه على يد الامبراطور تراجان الرومانى

ان الذين ترجموا بالعربية أخبار هؤلاء الاسماعيليين من بنى

نابت سموهم نبطاً وسموا مملكتهم مملكة النبط . وأنت ترى أن هذا الاسم جاءهم من اسم جدهم (نابت) . والمعروف عند العرب أن النبط جيل آخر ينزل بالبطائح بين العراقين كما نص على ذلك الجوهري في الصحاح وقال ابن ازهر في التهذيب انهم ينزلون السوادوهو سواد العراق كما في المحكم لابن سيده ويقال لهم الانباط أيضاً . وصلة العرب بهؤلاء آتية من جهة ابراهيم عليه السلام قال حبرُ الاسلام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربا » ، قيل ان ابراهيم ولد بها وكان النبط سكانها ، سموا بذلك لاستنباطهم مايخرج من الارضين . أماهؤلاء الاسماعيليون الذين نزلوا وادي موسى كما تقدم فهم أحدث من نبط العراق ، وكان من حق المترجمين أن يرسموا اسمهم في العربية بلفظ (الأنبات) أو (النابتيين) اجتناباً للالتباس بنبط العراق ، واتباعاً لوجه الصواب في نسبة هذه الأمة الى جدها نابت بن اسماعيل

وقبل أن اختم هذا الفصل أشير باختصار الى أن هجرة الاسماعيليين هذه لم تكن مقصورة على بني نابت وبني قيدار وبني يطور ، بل هاجر معهم بنو تيماء أيضاً ولا يبعد أن تكون بلدة تيماء التي

بين الشام ووادي القرى كانت من منازلهم

ورواة العرب يؤكدون أن (دومة الجندل) التي بين المدينة المنورة والشام سميت بدومة بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام. ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان ونقل مثله عن الزجاجي وروى في ذلك تفصيلاً عن العلاّمة ابن الكلبي قال: لما كثر ولد اسماعيل بتهامة خرج دوماء بن اسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى به حصناً فنسب اليه

وفي أخبار الايام الاول (١٩:٥) أن بني نفيس كانوا مع اليطوريين الشام

الفصل الخامس

﴿ الموجات الاخيرة في التاريخ الماضي ﴾

« افتراق بني مَعَدّ — هجرة سيل العرم »

« ظهور الاسلام »

وحدثتْ حوالي زمن ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام حادثتان قذفتا بموجتين عربيتين الى بلاد الشمال :

أما الحادثة الاولى فهي — على ماجاء مفصَّلاً في مقدمة معجم ما استعجم للبكري — أن أولاد مَعَدّ كانوا في منازلهم بمكة وتهامة كأنهم قبيلة واحدة ، حتى عشق حَزِيمةُ بن نهد القضاعي فاطمةَ بنت يذكر بن عنزة النزارية ، فنشبت الحرب بين قضاعة وبني نزار . وكان مع قضاعة عَكٌّ والاشعريون ، ومع بني نزار كندةُ . فقُهرت قضاعة وأجلتهم نزار عن منازلهم : فسارت تيم اللات ابن أسد وبنو وفيدة بن ثور وبعض الاشعريين فنزلوا في مكان من أرض الجزيرة العراقية اسمه عبْقَر ، وسارت سَليح القضاعية الى فلسطين ، وذهبت تنوخ (ويسميها اليونان Thanouit) الى

الحيرة ثم الى الحَضْر (واسمها اليوناني Atra) وهي قرب (تكريت) ، ولحق بعض قضاعة بالشام ، وسارت حوتكة بعد ذلك الى مصر

ثم اختلفت مضر وإياد — وكلاهما من بني نزار — فرحلت إياد الى سواد العراق ، ثم ضايقهم كسرى فتقدّموا الى أرض (الموصل) و (تكريت)

ثم نزحت عن الحجاز قبائل ربيعة ، فما زالت الحروب والوقائع تدفعهم من أرض الى أخرى حتى بلغوا (هيت) و(عانات) و (ديار بكر بن وائل) وهى الآن من بلاد الانضول ، وكانت تسمى قبل نزول العرب فيها (قهستان) ، ثم استقروا فى سنجار ونصيبين والخابور فصارت هذه البقاع تسمى في التاريخ العربي باسم (ديار ربيعة)

***

وبينما قبائل مَعَدّ تتوغل في الشام والعراق الى الانضول عاملةً على توسيع الوطن العربي الأكبر كان سدّ العرم في اليمن قد انهار ، فقذف بالموجة القحطانية الى الشمال : فنزلت خُزاعة في مكة ، والاوس والخزرج في يثرب ، ولَخْم في العراق ، وغسّان

في الشام. وكل ذلك مشهور فلا أطيل به

***

ثم كانت بعد ذلك «الموجة الأسلامية الكبرى» في القرن السابع للميلاد، وهي الموجة الاجتماعية التي اكتسحت في طريقها سخافات الوثنية، ونزغات الجاهلية، وعصبيات القبائل، وأمراض التبلبل والتفرّق والانقسام؛ فكانت معجزةَ المعجزات وأعجوبة الاعاجيب، وما برح هدير هذه الموجة يوحي الى قلوب الاحفاد من حكمة الاجداد ماصاغه شاعر القومية المبين بقوله:

تلك الحياةُ التي كانتْ محجَّبةً
في الغيب لاسَأَماً تخشى ولاسقما
سارت مع الدهر من بدو الى حضَر
حتى استتبَّت فكانت نهضةً عَمَما
من ذلك البيت، من تلك البطاح، على
تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
من كلّ أروَعَ وثّاب إذا انتسبتْ
بيضُ الصوّارم كان الصارمَ الخذِما

وانقضَّ من عُدَواء الدار مُنصلِتاً
وانغلَّ في غَمَرات الموت مقتحما

لستم بنيهم ولستم من سُلالتهم
إن لم يكنْ سعيُكم من سعيهم أمما

إلى الشآم ، إلى أرض العراق ، إلى
أرض الجزيرة سيروا واحملوا العَلَما

وقد كان من أثر تلك النهضة العظمى أن وَضعتْ بين أيدي هذه الامة مبادئَ وقواعدَ حاطها الله بحفظه ، وصانها بعين عنايته؛ فمهما صَرَفَنا عنها شيطانُ الخمول والجهل والهوى والنسيان والعقوق فهي باقيةٌ مع الدهر: لانكاد نذكرها لنهتديَ بها الى طريقنا حتى يلوح لنا مِصباحُها مُتألقاً يبدّد بأشعّته غياهبَ الظلمات فنعود بها إلى ما كنا عليه من قوة وهيبة وصلاح ، بالسرعة التي نشرنا بها حضارتنا في العالمين. ومن دأب العرب أن يناموا ، ولكنهم لايموتون إلا إذا باد البشر جميعا

الفصل السادس

﴿ نظرة في اللغات السامية ﴾

تبين لنا من الفصول السالفة أن جزيرة العرب كانت كالبحر يقذف بالموجات من أهله الى الاقطار التي يتكلم سكانها اليوم بالعربيـة ، وان أسلاف العراقيين ـ من كلـدانين وأثوريين ـ هم بعض مهـاجرة العرب ، وأن أسلاف اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين ـ من فينيقيين وآراميين ـ هم بعض مهاجرة العرب أيضاً . وقد حقَّ علينا أن نتساءل بعد ذلك عن اللغات التي كان يتكلم بها هؤلاء الأقوام

إن من الحقائق المقرَّرة الآن في العلم أن اللغة العربيـة التي نكتبها اليوم ليست هي بعينها اللغة التي كان يتكلم بها سكان جزيرة العرب الاقدمون ، وإنما كانت اللغة القديمة أكثر سذاجة وبساطة وأعرى عن أساليب الجمال وأدنى في مراتب الكمال مما بلغته لغتنا هذه

ان لغة الفطرة القديمة التي كانت مستعملة في جزيرة العرب

قبل افتراق الامم السامية هي اللغة السامية ، وقد طرأت على هذه اللغة استحالات جعلتها تتطوّر أطواراً كثيرة حتى لم يبق منها الآن الا بقايا من موادّها أفرغت في صِيَغ أخرى . وهـذه البقايا موجودة بأشكال مختلفة في العربية والسريانية والعبرانيـة وسائر اللغات الساميّة

والذي نستطيع أن نتصوره الآن من تاريخ هذا التطور هو أن الساميين كانوا في باديء الامر في وطن صغير وهم أشبه بالاسرة و القبيلة ، فلما تهيأت أسباب الهجرة لجماعة من هذه القبيلة انفصلت عن قومها وانتقلت الى وطنها الجديد وهي تتكلم بلغتها الاولى . فاذا استحدثت في وطنها الجديد مسمياتٍ جديدة وَضعت لها أسماء جديدة غير معروفة في وطنها القديم ، كما أن ما حدث من ذلك في الوطن القديم توضع له أسماء جديدة لم تكن موجودة في اللغة التى كان يعرفها المهاجرون . وهكذا لا تلبث أن تتسع دائرة الاختلاف في كل من اللهجتين . واذا حدثت بعد ذلك هجرة أُخرى من الوطن القديم كان للاسباب المذكورة آنفاً مثل ما أشرنا اليه من المؤثرات، فنشأت عن ذلك اللغات الساميـة المعروفة التي يظنها الناس لغاتٍ

مختلفة مع أنها ترجع الى أصل واحد ، كما يرجع أهلها أنفسهم الى أرومة واحدة بينما كثير من الناس يظنهم من أجناس مختلفة

وظلت هـذه الامم تتكلم بلغات متقاربة نظن أن الفرق فيما بينها لايزيد على مابين لهجات الاقطار العربية الحاضرة من فرق ، وكان كلما انقضى عصر جديد حدث فيه بين هذه اللغات اختلاف جديد ، الى أن ظهر الاسلام فكان من مظاهر إعجازه إعادة الوحدة الجنسية واللغوية الى الشعوب الساميّة التي صارت بذلك ذات وطن واحد وهي الوطن العربي الاكبر

اذن فاللغـة الساميّة الاولى زالت بتطوّر لهجات الشعوب الناطقة بها . وقد توالى هـذا التطور وتكرّر حتى أصبحت هذه اللهجات كلها مغايرة لأصلها . ومع ذلك فقد بقيت فى كل هذه اللهجات مفرداتٌ ورثتها عن اللغـة الاولى واشترك أكثر الامم السامية في استعمالها بفروق قليلة ، وهي برهان حسي قائم على أن هذه اللهجات كلها ترجع الى أصل واحد

وإني أقتبس من مقالةٍ لي في هـذا الموضوع (١) أمثلةً من ذلك :

---

(١) الزهراء ١ : ١٢ ـ ٢٠

خذ لك مثلا كلمة « أب » التي بمعنى الوالد ، فانها من الموادّ التي توجد في كل اللغات السامية ، وذلك يدلّ على وجودها في اللغة الاولى المنقرضة ، فورثتها عنها اللهجات التي تفرّعت عنها . وغاية ما في الباب أن لفظ « أب » يختلف قليلا في بعض اللهجات عنه في البعض الآخر : فالمتكلمون بالآرامية العراقية كانوا يلفظون هذه الكلمة بألف مفتوحة بعدها باء مشدَّدة مفتوحة أيضاً وفي آخرها ألف ملساء . وهذا التشديد في حرف الباء عارض لتوالي الفتحتين . أما المتكلمون بالآرامية الشامية فيلفظونها بألف ممدودة بعدها باء مخففة مضمومة وفي آخرها ألف ملساء أيضاً

و « الانف » في العربية والبابلية بلفظ واحد ومعنى واحد . وكذلك في العبرية والسريانية ، الا أنها سقطت منها النون فيهما

و « العنب » في العربية والبابلية بلفظ واحد ومعنى واحد وورد في العربية والسريانية ساقطاً منه النون أيضاً

وكلمة « خنع » العربية ــ ومعناها خضع وذلّ ــ يقابلها عند الكلديين « كنع » بمعنى خَزِيَ ، وهذا اللفظ نفسه كان عند العبريين والفينيقيين بمعنى ركع ووطؤ ، ومنه « أرض كنعان » أي

الارض السفلى يقابلها « أرض أرام » أي البلاد العالية . وبالعربية « الأرم » بمعنى الحجارة تنصب عَلَماً في المفازة وهذه المادة أُخت « ورم » العربيـة أيضاً بمعنى انتفخ ، يقابلها بالعبرية والفينيقية روم بمعنى ارتفع (١)

وفي باب العدد كلمة « الثامن » بالعربية ، فانها باللغتين المصرية والفينيقية تلفظ « أشمون » أي الثامن . وكلمة « ثلاث » العربية فانها بالسريانية « تلات » وبالعبرية « شلاش »

وعلى ذكر ابدال الثاء العربية بالتاء في السريانية وبالشين في العبرية نقول: ان كلمة « الثدي » موجودة بمعنى واحد في عدة لغات سامية ، غير أن السريان يقولون « تدا » والعبريين يقولون « شدا »

وفعـل « يثب » العربى ورد في السرياني بلفظ « يتب »

---

(١) لما اطلع أديب العربية الاكبر علامتنا الامير شكيب أرسلان على هذه المقالة فى مجلة (الزهراء) استدرك على كلمة « كنم » ما يأتى : « ان (كنع) هي أيضاً فى العربية بمعنى خضع وذل . يقال (كنع) ثلاثياً و (أكنع) مزيدا وكلاهما بمعنى خضع وذل »

وضم سعادة الامير الى مادة (أرم) و (ورم) كلمة (ريم) بفتح الراء بمعنى الجبل الصغير في العربية

وبالعبري « يشب »

ولذلك يسمى العبريون الأثوريين « اشوريين »

وقد يأتى في السريانية عكس ذلك أحيانا : فعوضا عن أن يبدلوا الثاء العربية تاء كما تقدم يبدلون التاء العربية ثاء ، ومن ذلك قولهم « أثا » بمعنى « أتى » أى جاء ، وقد ورد هذا اللفظ في الرسالة الأولى التي أرسلها بولس ـ حواري سيدنا عيسى عليه السلام ـ الى أهل كورنتس في قوله (١٦: ٢٢) : « ماران أثا »

وكان العرب يسمّون يوم الجمعة « العروبة » وهو بالسريانية « عروبتا » وبلغة بني نابت « أربا »

« والقَسْوَر » بالعربية يقابله بالفينيقية « قشور » أى قوي شديد

ومن ابدال السين شينا فعل « سال » بالعربية فانه ورد بالسريانية والعبرية بلفظ « شال »

« والسبط » بمعنى ابن الابن وابن البنت يوجد فى العربية والمصرية القديمة ولغات سامية أخرى . قال العلاّمة أحمد باشا كمال رحمة الله عليه : ان هذه اللفظة وجدت في نصائح (بتاح حتب) ووجدت على جدران مقبرة (أمست) بمعنى ماجاءت به في العربية

و«صهر» بمعنى طبخ وأذاب وردت في اللغتين العربية والمصرية القديمة بمعنى واحد

و « البيعة » بمعنى المعبد فى العربية ، وردت فى المصرية فى ورق أبوت ١ ١/٦ ١/٦ المؤشر عليه برقم ١٠٢٢١ في متحف انكلترا وفسّروها بمعنى الجبانة ، ولكن أحمد كمال باشا يرجح أنها بمعنى المعبد كما يدلّ عليه السياق

ومادة « زبر » و « ذبر » و « سفر » كلها واحدة بمعنى كَتَبَ قال أحمد كمال باشا : انها قد تتوّع لفظها في العربية وفى النصوص المصرية . قال : وهذا القلب والابدال في الحروف له أصول متبعة في اللغتين المصرية والعربية ، والسبب فيه تعدّد القبائل ولهجاتها

وبالعربية « نسم » بمعنى ذهب في الارض . وهذا الاشتقاق وارد في العبرية ، ومثله في الفينيقي لفظاً ومعنى . وقد ورد في سفر التكوين (١١:٢) ولما نسعوا من المشرق وجدوا بقعه من أرض شنعار فأقاموا فيها

واتفقت التوراة واللغة الكلدية على تسمية (الجبابرة)

المعروفين بكبر الاجسام باسم (كبرو) أو (جيبور)

ووردت كلمة الجبابرة في الاصل العبري من التوراة في آية التكوين بلفظ « نوفل » أو « نيفليم » . وهذه المادة تفيد في العربية الغنيمة والزيادة والشدة والعظم ، فالعرب تسمي البحر نوفلا ، وتسمي بعض أولاد السباع نوفلا . قال ابن عباد : والنوفل الشدة

وان اسم الفينيقيين أنفسهم عنوان صريح ، ودليل صحيح ، على ما بينهم وبين العرب وسائر الساميين من أواصر القرابة . فان مادة « فنق » العربية تدل على معنى الترفه والتدلل ، ويقول العلامة الفاضل السيد يوسف دريان ان هذا الفعل جاء في اللغة الآرامية والعبرية شقيقتي اللغة الفينيقية . وهـذا المعنى ـ أي الترفه والتدلل ـ ملازم لمعيشة أهل التجارة كالفينيقيين

و « قسا » من القسوة بالعربية ، وهو في السريانية والفينيقية والعبرية « قشه » بمعنى توعر وصاب وقسا ، ومنه (قاسيون) جبل دمشق المشهور

وعلى ذكر دمشق نقول : ان لفظ « الدم » بالعربي موجود بلفظه ومعناه في السرياني والعـبري والفينيقي . وكذلك كلمة « سقى »

بالعربي تلفظ « شقه » باللغات السامية الاخرى. ويظنون أن من اجتماع لفظي « دم » و « شـقه » يتركب اسم مدينة « دمشق » يشيرون بذلك الى حادثة قتل قاين (قابيل) أخاه هابيل ومايقال من وقوعها في دمشق. قال القديس (هيرونيم) في تفسيره لسفر عاموس (١: ٥) وفي ذكريا (٩ :١) « معنى دمشق شراب الدم »

وعلى ذكر قاين وهابيل ننقـل عن تاريخ سورية للعلامة يوسف الدبس (عدد ١٨) أن معنى كلمة (قاين) قنية وثمرة. وقد ورد في الكتابات القديمة في نينوى وبابل بمعنى من يقتني عبداً وربما كانت منها كلمة « قنّ » بالعربية بمعنى الرقيق. قال : وفسّر الربيون « هابيل » بمعنى البخار أو « الهبلة » بلغة العامة ، وبمعنى الباطل والغم والحداد ، وفي العربية « هبلته أمه » بمعنى ثـكلته ؛ لأن مقتل هابيل كان لذويه علة الغم والحداد. وقال (أوبرOppert) في كتابه (الدروس الآثورية : ص ٣٥) : ان هابيل ربما كان مشتقاً من فعل « حبل » بالعربية فيكون بمعنى وليد. وان « هابال » و « هببال » و « ابال » و « هبلو » باللغة الاثورية بمعنى « ابن » قال العالم (سيلام) : « ان كل اللغات السامية أضاعت كلمة

« هبلو » بمعنى ابن الا الأ ثورية » ولفظ « حبل » العربي أخو لفظ « هبلو » الأ ثوري من حيث تلازمهما المعنوي

و « الرُّهام » في العربية بمعنى العدد الكثير ، و « راهام » بالعبرية والفينيقية ولغات أخرى سامية بمعنى الجماعة والجمهور ، ومنه اسم (إبراهيم) عليه السلام فانه مركب من كلمتي « أب رهام » ومعناه « أبو الجمهور » . وقد ورد اسم إبراهيم في القرآن في ٦٩ موضعا ، منها ٣٣ موضعاً بلفظ « إبراهام » بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان ، و٣٦ موضعاً بلفظ « ابراهيم » بالياء

ومن الالفاظ التي لا تزال باقية في أكثر اللغات السامية — والعربية في جملتها — الالفاظ التي في بداية التوراة وهي « برا » بمعنى أوجد ، و « رواح » بمعنى الريح والروح القدس ، و « يوم » التي تدل على مدة من الزمن ؛ كأن هذه الالفاظ مشتركة في ألسنة أكثر السلائل السامية

وهناك ألفاظ في بعض اللغات الساميَّة رُكبت تركيباً مزجياً بعد نحت أجزائها ؛ فصارت الى شكل يظن الانسان — قبل التأمل فيه — أنه ليس بينه وبين غيره من موادّ اللغات السامية الاخرى علاقة اشتقاقية . مع أن الامر على خلاف ذلك . ومن الامثلة على

هذا كلمة « عَدْمِش » السريانية بمعنى « حتى الآن » فمن ذا الذي يظن أن لهذا اللفظ علاقة باللغة العربية ؟

ان كلمة « عَدْمِش » مركبة من أربع كلمات :

« عَدْ » بمعنى حتى

« م » : وهي مختصرة من « ما » الموصولة

« ش » : وهي منحوتة من « هاشعا » ، أما « ها » فحرف تنبيه وإشارة ، وأما « شعا » فمعناها « الساعة »

قلنا ان « عد » بمعنى حتى ، وهما حرفان متفقان في المعنى ومتقاربان في اللفظ . ومع ذلك فان في العربية « عَتَّى » وهي في لغة هُذَيل وثَقِيف بمعنى حتى . وقد نصّ القاضي البيضاوي وغيره في تفسير الآية ٣٥ من سورة يوسف على أن قوله « ليسجننه حتى حين » قريء في بعض القراءات « عتى حين » . وفي النهاية لابن الاثير (في مادة عتا) : وفي حديث عمر رضي الله عنه بلغه أن ابن مسعود يُقريء الناس « عتى حين » يريد « حتى حين » فقال عمر رضي الله عنه : « ان القرآن لم ينزل بلغته هُذَيل ، فأقريء الناس بلغة قريش » كل العرب يقولون حتى إلا هذيلا

وثقيفاً يقولون عتى . انتهى

والـكلمات الثلاث الاخرى في لفظ « عَدْمِشْ » وهي « ما » الموصولة و « ها » التنبيه والاشارة و « شعا » التي بمعنى ساعة مما لا يحتاج الى بيان

فانظر كيف أن هذه الـكلمات الاربع لما نحتت ومُزجت انتقلت الى شكلها الغريب الذي أشرنا اليه

***

وبعد فهذا غيض من فيض أوردناه على سبيل التمثيل فقط ؛ لان هذا المقام لا يتسع للبسط والافاضة . أما استقصاء الموضوع على هذا النحو فلا يتيسر الا لأهل الاختصاص في معرفة اللغات السامية الجديرة بأن يكون لها معجم لغوي تقارَنُ فيه الـكلمات العربية بما يشاركها ـ من حيث الاشتقاق ـ في اللغات السبأية والفينيقية والعبرية والسريانية الشامية والسريانية العراقية والحبشية والسقرطية ولغة بني نابت وإخوتهم من بني اسماعيل وسائر اللهجات التي تكلم بها الساميون . أما المقارنة بين العربية والمصرية القديمة فقد قام بها العلامة الجليـل المغفور له أحمد كمال باشا في معجم عظيم الأهمية

كشف فيه عن أسرار عجيبة وفوائد لا توجد في موضع آخر . ولو قيض الله للعربية رجالاً من أهل الاختصاص في اللغات السامية الاخرى يؤلفون فيها معاجم من هذا القبيل لمقارنة العربية باللغات السامية التي جوّدوا معرفتها لوقف أبناء العربيـة من ذلك على مفاتيح جديدة لحقائق لا تزال عندنا مطوية وراء حجب الغيب

الفصل السابع

﴿ نظريات العلماء ﴾

في

﴿ الوطن الاول للساميين ﴾

للعلماء ثلاثة آراء في الوطن الاوّل للساميين ولغاتهم :

الاول * رأى الذين تابعوا العبريين فى أن أصل الساميين من العراق . وهذا الرأي لا يتجدّد عام إلا ببرهان جديد على ضعفه ونقصان عدد القائلين به . ومع ذلك فان كبار العلماء في تفسير أسفار التوراة غير متفقين على أن العراق هي مهد الساميين ، ولا يرون حرجاً فى الذهاب الى أن أصل الساميين بل وأصل البشر الاولين من وطن آخر غير العراق . وقد نقلنا فى الفصل السابق(١) قول القديس هيرونيم ان (دمشق) سميت كذلك لوقوع حادثة قابيل وهابيل فيها . وليس قليلا عدد علمائهم الذين يذهبون الى

---

(١) ص ٤١

أن (الشام) سميت باسم (سام) بن نوح عليـه السلام . اذن فنصوص التوراة لا تحتّم على المتمسّكين بها أن يتعصبوا لهذا الرأي وقد تقدّم معنا [١] أن اليهود إنما ذهبوا الى ذلك لانهم رأوا جدّهم الاعلى ابراهيم عليه السلام جاء الى الشام مما وراء الفرات ، وكذلك كان الآراميون يأتون الى الشام من العراق ، لكن ذلك لا يمنع أن أجداد ابراهيم عليه السلام وأسلاف الآراميين انمـا جاءوا الى العراق من بلاد العرب كما أوردنا الأدلة على ذلك من قبل

الرأي الثاني * رأيُ القائلين بأن أصل الساميين من بلاد الحبشة ، وانهم جاءوا الى جنوب جزيرة العرب من طريق باب المندب قبل زمن التاريخ ، وانهم صعدوا بعد ذلك من جنوب جزيرة العرب الى الاقطار الشمالية بمهاجرات تدريجية على ما ذكرناه فى الفصول السابقة . ومن القائلين بهذا الرأي الاستاذ (سالت) والعلامة (أرثر نولدكي)

الرأي الثالث * رأي القائلين بأن جزيرة العرب هي مهد الساميين ووطنهم الاول ، وأنهم انتشروا منها الى الشام والعراق

---

(١) ص ٥

وغيرها شمالا والى الحبشة غرباً بطريق باب المندب بنفس المهاجرات التدريجية التي ذكرناها . ومن أصحاب هـذا الرأي (روبرتس سميث) و(صموئيل لاينج) و(سبرنجر) و (شريدر) و (باتون) و (وينكلر) وكثيرون غيرهم

قال الأب لامنس اليسوعي (١) :

« ان المذهب الشائع بين العلماء فى موطن بني سام الاصلي أنهم ظهروا فى شبه الجزيرة التي موقعها بين خليج العجم والبحر الهندي والبحر المتوسط ، أعني فى مربع عظيم تشغل سورية جهته الغربية . لانجهل أن غيرهم من المستشرقين يجعلون اصل الساميين فى افريقية ويزعمون أنهم تخطو منها الى آسية . فرأيهم هذا يستدعى بحثا لايسعنا الآن الخوض فى غمره . وما لاشبهة فيه أن مهد الساميين التاريخى حيث يظهرون فى نور التاريخ ، فنتبع أعمالهم وأخبارهم دون ريب ، ونميز خواصهم التى تفرزهم عن غيرهم من الامم فى القرون التالية ، وقد كان موقعه في المربيع الـكبير الذي ذكرناه آنفا . سواء كان هذا المقام محلهم الاصلي أم لا ومنه انتشروا

---

(١) في كتاب « المذكرات الجغرافية فى الاقطار السورية » ص ٨ - ٩

فى بقية أنحاء آسيا المتقدمة ثم الى كل أنحاء المعمور. ومن أراد أن يتجاوز هذه الحدود التاريخية سار فى مجاهل على غير هدى وتعرض للضلال والعثرة. ولعل تقدم العلوم يأتينا يوما بوسائل جديدة لتلطيف هذه الظلمات الكثيفة (١) »

***

وبعد فان هذا الرأي الثالث هو المعوّل عليه عند المتعمقين فى درس هـذا الموضوع. وجميع النصوص التاريخية تؤيده وتقوّيه. وفي الحقيقة ان هذه النظرية والنظرية التي قبلها - في أن السـاميين كانوا فى الحبشة وانتقلوا منها الى جنوب جزيرة العرب ومن هـذه انتشروا الى البقاع الاخرى - ان النظرتين تنتهيان الى نتيجة واحدة فى تعيين جنسـية الامم التي تتكلم الآن باللغة العربية ، وفي الحـكم بانها كانت فى الاصـل أمة واحـدة كما عادت أخيرا أمة واحدة. لأنه سـواء كان سكان جزيرة العرب يقطنون بلاد الحبشة قبل أن

(١) راجع في هـذا الموضوع : تاريخ الشعوب الشرقيـة ١ : ٥٥٠ Hist. anc. des peuples de l'Orient تأليف مسبرو Maspéro ومقالة شعوب آسية المتقدمة Die volker vorderasiens بقلم وينكلر H. Winckler في مجموعة Der alte Orient وكتاب محمد ص ٦ تأليف غريم Grimme

يكونوا فى بلاد العرب أو كان سكان بلاد الحبشة يقطنون جزيرة العرب قبل أن يكونوا فى أرض الحبشة فان النتيجة واحدة فى تعيين الاصل الذي يرجع اليه سكان لبنان وسورية وفلسطين والعراق في الوقت الحاضر ، وفي الحكم بأنهم انما جاءوا الى أوطانهم هذه من بلاد العرب لا من غيرها

لذلك قلت فى مقالة (سلطان اللغة العربية [1]) : «وأرى أن من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي لم يذكرها العلماء في جملة معجزاته أنه أعاد للبلاد السامية وحدتها القومية واللغوية بعد أن فرق بينها كرّ الزمان وترامى الاوطان ، فأصبحت اللغة العربية لغة الامم السامية كلها كما كانت أمُّها اللغةُ السامية الاولى لغتهن قبل التشتت والانقسام. فحيثما ترى العربية راسخة الدعائم ثابتة الأصول يعض أبناؤها بالنواجذ على آدابها وبديع أسرارها ، فاعلم ان ذلك عن إرث من اللغة السامية الاولى ، انتقل الى بنتها البكر : لغة زهير بن أبى سُلمى وأبى تمام الطائي وأبي الطيّب المتنبي وحكيم المعرّة. وقد انتشرت العربية في أواسط آسيا وجنوب أوربا

---

(١) الزهراء ٢ : ١٤٩ والحديقة ٢ : ٨٥

حيناً من الدهر غير أنها تراجعت عنهما بتراجع الجيوش العربية ولم تثبت إلا حيثما كان لها من تراث أمّها السامّية أسسٌ ودعائم. فالوطن العربي الحاضر قائم على أساس صحيح من القومية، وله من الاستحالات اللغوية سلطانٌ شرعيٌّ خالد. واذا كانت المطامع الاوربية قد قطعت كلَّ آصرة سياسية بين أقطار الوطن العربي الاكبر فان البيان العربيَّ سيمثل دورَه العجيب، في المستقبل البعيد أو القريب، والليالي من الزمان حُبالى »

خاتمة

إن البحثَ الذي عرضتُه على أنظار القاريء الكريم في هذه الرسالة من أهمّ المباحث التي يجب على كل من يتصدّى للكتابة في تاريخ الامة العربيّة أن يُطيل النظر فيها ، لأنه الأساس الذي يُبنى عليه تاريخ جميع الحضارات الساميّة . وأنت ترى أنه ليس لي في هذه الرسالة غير الجمع بين النصوص التاريخيـة والتأليف بين آراء العلماء فيها ووضع ذلك بين أيدي من يهمّهم تمحيص أوّليتنا وتحقيق أصل جنسيّتنا لتكوين العقيدة العلمية في هذا الباب . وقد تعمّدتُ فيما كتبته الايجازَ جهدَ الطاقة ، لان غرضي غرسُ الفكرة التي تنتج عن هذه النصوصِ في ذهن كل ناطقٍ بالضاد ، وفيما أثبتُّه في هـذه الفصول ما يحقّق هذا الغرض على ما أظنّ .

والحمد لله أوّلاً وآخرا

القاهرة : غرّة شعبان ، ١٣٤٤

محب الدين الخطيب

الى جزيرة العرب . . .

الى جزيرة العرب ...

لِمَنْ المَضارب في ظِلال الوادي
ريّانة الجنبات بالورّادِ
ألله أكبر ! تلك أُمَّةُ يعربٍ
نفرتْ من الاغوار والانجاد
طَوَتِ المراحلَ ، والأسنّةُ شُرَّعٌ
والبيضُ متلعةٌ من الأغماد
ومَشَتْ على الاسَلاتِ مشيةَ واثق
بالله ، والتاريخ ، والأجداد

***

لبيكِ يا أرضَ الجزيرة ، واسمعي
ماشئتِ من شَجْوي ومن انشادي
لكِ في دمي حقُّ الوفاء ، وإنه
باقٍ على الحدثان والآباد

فنهضتُ مُضطلعاً بما جَشَّمْتِني
وحملتُ فيكِ سخائمَ الاضدادِ

ووقفتُ بينَ يديكِ أُطرقُ خاشعاً
وكأنكِ المحرابُ للعبَّاد

ورميتُ دونكِ بالدَّليل مُسدَّداً
فسمعتِ صوتَ الحارث بن عُباد[1]

***

أنا لا أفرّقُ بين أهلكِ ، انهم
أهلي ، وأنتِ بلادُهم وبلادي

ولقد برِئتُ إليكِ من وطنية
شلاَّءَ تُؤثِرُ موطنَ الميلاد

---

(١) احد الرهط الذي اوفده النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة عرب العراق بين يدى كسرى . وقد شهد الوفد للحارث بن عباد ان افعاله انطق من لسانه

فلكل ربع من ربوعكِ حُرمةٌ
وهوًى تَغَلْغَلَ في صميم فؤادي

***

كم ضجعةٍ بالقاع في غَلَس الدُّجى
فوق الرمال العفر وهي وسادي
أدركتُ اذ أدركتُها معنى الكَرَى
وَسَكينةَ الارواح في الاجساد
ولشدَّما انطوتِ العصورُ وما انطوت
لاعيشِ فيكِ بشاشةُ الاعياد
فسفَرْتِ بالفجر المبين لمُدْلِجٍ
وتفجَّرَ العرفانُ منكِ لصاد
آمنتُ بالهمم التي أحيَيْتِها
فمضت تزلزلُ شامخَ الاطواد
وتخطَّفتْ شمَّ الحصون، وإنها
كانت تُعَدُّ مرابضَ الآساد

ولقد شهدتِ بنيكِ يوم تشمّروا
متلبّبين لغارةٍ وطِرادِ
فعلمتِ كيف يثور من طلبَ العُلى
ورأيتِ كيف عزائمُ الامجاد
فجريحُهم وأسيرهم كقتيلهم:
نهبٌ يُراوِحه الردَى ويغادى
وهمُ الاباة فما تلين قناتهم
تحت السيوف ولا الحِمام العادى

***

شُهداءُ مجدكِ في ثراكِ يضمُّهم
ولهانُ ضمَّ حفيظةٍ ووداد
متدفّقٌ من كل موقع طعنةٍ
فيهم لسانُ دم بذكركِ شاد
سهرتْ عليك جراحُهم كعيونهم
بالامس غيرَ ملمَّةٍ برُقاد

ولقد تطوّع كهلهُم وغلامُهم
للموت غيرَ مسخّرٍ بقياد

وثَبَتْ بهم في نقع كلّ كريهةٍ
هممُ الغزاة وعفّة الزّهاد

ومَن اشترى استقلالَه بدمائه
لم يستنمْ لاذىً ولا استعباد

***

الملكُ فيكِ وفي بنيك وإنه
حقٌّ من الآباءِ للأحفاد

وأمانةُ التاريخ في أعناقهم
من عهد (بابل) يومَ نهضة (عادِ)

وذوي (حمى ربى)و (آل سميذع)
وبني (مَعينَ) و (حِميَرٍ) و (إياد)

ومن (الوعاة) ومن بنى قحطان او
عدنان من متحضّر أو باد

وأغرّ ابلج من ذؤابة هاشم
رفع اللواء ولمّ شعث الضادِ
فاذا انبروا للمجد فهو سبيلهُم
يمشون فيه على هدًى وسَداد
تعسَ العداةُ فما يفرّق شملَنا
متفرّقُ الاسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم
شعباً ، وأن الله بالمرصاد

فؤاد الخطيب

إذا اسْتُعْبِدَتْ أُمَّةٌ

في يدها مِفتاحُ حَبْسِها

ما احتَفَظَتْ بِلُغَتِها

مصر والشام

مصر والشام

***

يا سحاباً يُزجى إلينا رُكاماً
فنرى الوَدْقَ فائضاً من خلاله

أيُّ بحر سوّاك ، بل أي أفقٍ
بعد حبسٍ أُطلقتَ من أغلاله؟

أنبيء الأرض هل حملتَ غديراً
في انحدارٍ نهفو الى شلاله ،

أم سيولا تهيم في كل وادٍ ،
أم رذاذاً يروق في أوشاله ؟

أين تغدو : أشاطىء البحر ترجو ،
أم بَواديه ، أم رءوسَ جباله ؟

أإلى مصر ، أم الى الشام تصبو ؟

والشقيقان واحدٌ فى وصاله

***

بين مصرٍ والشام شاطئ بحرٍ

ملءَ عين الأيام بعضُ نواله

وقفتْ بينه وبين الصحارى

شامخاتُ الجبال أسرَى جماله

شيّدتْ صرحَها عليه الليالى

واستقرَّ التاريخُ في أطلاله

ربضت خلفه أسودُ البوادي

شاهداتٍ عليه فى أعماله

كلما جاءها مخاضُ الليالي

عززْته بنخبةٍ من رجاله [1]

---

(١) اشارة الى مهاجرات الساميين من بوادي جزيرة العرب الى
قاليم البحر المتوسط التي عمروها منذ اقدم ازمنة التاريخ : فى
يا ، ومصر ، وبلاد المغرب . وقد ذهب المؤرخ المدقق (جمس
بريستد) الاستاذ فى جامعة شيكاغو الى أن جماعات سامية

أذنتِ المنتأي ، وكانت دليلاً
لفتاها الجبّار في ايغاله

هجرةٌ إثرَ هجرة من صحارى
كنّ أصلاً للبحر في جياله

ملأت أفقه بآمال مجدٍ
فمشى البحر ناشطاً من عقاله

***

(وطنٌ واحدٌ) لأبناء (سامٍ)
عربيٌّ في خطوه ومجاله

عظيمة قد هاجرت قبل زمن التاريخ من البقعة الهلالية الشرقية فمشت غربا حتى هبطت مصر بطريق سينا والسويس فاقام بعضها فى هذا القطر وعمره ، وهؤلاء هم اصل الشعب المصري القديم ومؤسسو الحضارة المصرية ، ومشى قسم آخر منهم الى الحبشة فاستوطنها وبقى قسم آخر يتنقل فى افريقيا الشمالية قرونا عديدة حتى استقرت منه جماعات كثيرة فى بقاعها ووصل بعضها حتى شواطيء بحر الظلمات (الاطلانطيك) وليست حركة العرب عند ظهور الاسلام الا مظهراً آخر من مظاهر تلك المهاجرات أنتجت توحيد المواطن السامية وبعثها في وطن عربي جديد

(الناظم)

ما استقل الآرىُّ فيه وإن ظلّ
زماناً يعـدو على استقلاله [1]

ليس (عمرو) و(خالد) غير قطبين
أطلاّ منه على آماله

بعثاه بعثاً جديداً أرانا
ضَوْءَ مجد مُخلَّدٍ فى مثاله

(وطن العُرْب) خافَهُ كلُّ عاتٍ
أغرق الفاتحين بحرُ رماله

كفلته الصحراء شرقاً وغرباً
حين فتّ الاعداء فى أوصاله

(١) يرى مورخو الغرب وعلماء وصف الشعوب (الاتنوغرافيا) عنـد مقارنتهم بين الاحداث التاريخية والاوضاع الجغرافية ان فى انتشار الشعوب الآرية على حوض الشواطيء الشمالية للبحر المتوسط وانتشار الشعوب السامية على حوض الشواطيء الجنوبية لهذا البحر مايشبه خطين متناظرين أو جبهتى حرب كانتا وما زالتا ميدانا للتنافس والتناحر بين الشرق والغرب منذ خمسة آلاف سنة حتى يومنا هذا (الناظم)

ا
سور
هنري

وطن المرسلين بالحق نوراً
ودهاةُ التشريع من عُمّاله
مصر والشام فرعه الوارف الظلّ
وأهلُ القطرين من أشباله
خسىء العابث المغير وان ظلّ
مُجِداً في غيّه ومحاله
عشرات المليون للضاد ليسوا
ليموتوا ، فليرتجعْ عن ضلاله !
كرّ هذا الزمان كرّاً عنيفاً
فاذا هم لم يبرحوا من نصاله
واذا هم من خالدي الفكر حتى
في حضارات غربه وشماله [١]
منذ (خُوفُو) ومنذ (قَدْمُوسَ) يزهو
بحر فنّانهم بحسن لآله [٢]

(١) اشارة الى الحضارتين الافرنسية والانكليزية
(٢) خوفو مصر، وقدموس فينيقيا

ان أدال الزمانُ منهم ملوكاً
لم يُدِلْ من نبوغهم وجلاله

***

مصر والشام مشرقان لشمسٍ
ضاء منها الزمانُ فى إقباله
نسَجَتْ من شعُاعها بُرْدَ مجدٍ
خلعته دهراً على أقياله
فاستفاضَ الشرقيُّ منها بثوبٍ
ذهبى الشعاع عن أسماله

***

مصر والشام لن تموتا وإن جا
رَ علينا الدخيل يوم نزاله
لن تموتا والغرب غربٌ وهذا الشـ
ـرق شرقٌ فى روحه وإباله
لن تموتا والحق أثبتُ نوراً :
خمد البغي ، أو مضى في اشتعاله

***

مصر والشام مطلعان لفجرٍ

عربيّ غطّى على آصاله

نهضا يبعثان عصراً قديماً

في جديدٍ حاكا على منواله

نهضا ينشران في الناس أن النـ

اس أسمى في العيش من أنواله

ويضيئان للحياة سبيلاً

عجز الغربُ عن سلوك كماله

***

مصر والشام دوحتان لشعب

صانه الله ، مدّ في أظلاله

محمد الشربقى

نزيل عمان

فهرس

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ الموجة الثالثة ـ قوم حمورابي ﴾

« سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد »

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ الموجة الرابعة — الهجرات الاسماعيلية ﴾

« سنة ٦٠٠ قبل الميلاد »

﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ الموجات الاخيرة في التاريخ الماضي ﴾

« افتراق بني معد ـ هجرة سيل العرم ـ ظهور الاسلام »

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ نظرة في اللغات السامية ﴾

الفصل السابع

في الوطن الاول للساميين